بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» 14/ 7/ 1442هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ عَمَلٌ مَرْذُولٌ، وَمَسْلَكٌ دَنِيءٌ، يَمْقَتُهُ اللهُ ﷻ، وَيَبْغَضُهُ الرَّسُولُ ﷺ، بَلْ إِنَّ النَّاسَ عَلَى اخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ يَبْغَضُونَ سُوءَ الْخُلُقِ، وَيَنْفُرُونَ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ مِمَّا يُنَفِّرُ النَّاسَ، وَيُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ، وَيَصُدُّ عَنِ الْخَيْرِ، وَيَصْدِفُ عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ مَجْلَبَةٌ لِلْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَمَدْعَاةٌ لِلْكَدَرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ، سَوَاءٌ لِأَهْلِهِ أَوْ لِمَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ. فَمَا أَضْيَقَ عَيْشَ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، وَمَا أَشَدَّ بَلَاءَ مَنِ ابْتُلِيَ بِسَيِّءِ الْخُلُقِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ مَسَاوِئَ كَثِيرَةً، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: سَيِّئُ الْخُلُقِ يَبْغَضُهُ اللهُ ﷻ، وَيَبْغَضُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَبْغَضُهُ النَّاسُ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ».

الثَّانِي: سَيِّئُ الْخُلُقِ تُمْلَأُ أُذُنَاهُ مِنْ ذَمِّ النَّاسِ لَهُ شَرًّا. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُ».

الثَّالِثُ: سَيِّئُ الْخُلُقِ يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْكَدَرَ، وَضِيقَ الْعَيْشِ، وَيَجْلِبُ لِغَيْرِهِ الشَّقَاءَ. أَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» عَنْ أَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: سَيِّئُ الخُلُقِ أَشْقَى النَّاسِ بِهِ نَفْسُهُ الَّتِي

بَيْنَ جَنْبَيْهِ، هِيَ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدْخُلُ بَيْتَهُ وَإِنَّهُمْ لَفِي سُرُوْرٍ، فَيَسْمَعُوْنَ صَوْتَهُ، فَيَنفِرُوْنَ عَنْهُ فَرَقًا مِنْهُ، وَحَتَّى إِنَّ دَابَّتَهُ تَحِيْدُ مِمَّا يَرْمِيهَا بِالْحِجَارَةِ، وَإِنَّ كَلْبَهُ لَيَرَاهُ فَيَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ قِطَّهُ لَيَفِرُّ مِنْهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِسُوءِ الْخُلُقِ أَرْكَانًا، وَهِيَ كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَدَارِجِ»: مَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ السَّافِلَةِ، وَبِنَاؤُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ، وَالظُّلْمُ، وَالشَّهْوَةُ، وَالْغَضَبُ.

فَالْجَهْلُ يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ، وَالْكَمَالَ نَقْصًا، وَالنَّقْصَ كَمَالًا.

وَالظُّلْمُ يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا، وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ، وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْأَنَاةِ، وَيَبْخَلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ، وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ، وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، وَيُقْدِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ، وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ، وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ، وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ.

وَالشَّهْوَةُ تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ وَالنَّهْمَةِ وَالْجَشَعِ وَالذُّلِّ وَالدَّنَاءَاتِ كُلِّهَا.

وَالْغَضَبُ يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبْرِ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ، وَالسَّفَهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِسُوءِ الْأَخْلَاقِ بَعْدَ حُسْنِهَا أَسْبَابًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: ضَعْفُ الْإِيمَانِ. فَالْإِيمَانُ مَدْعَاةٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَضَعْفُهُ مَدْعَاةٌ لِكُلِّ سُوءِ خُلُقٍ وَشَرٍّ.

الثَّانِي: انْشِغَالُ الْعَبْدِ بِعُيُوبِ النَّاسِ، وَغَفْلَتُهُ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ. فَهَذَا مِنْ مَكْرِ اللهِ بِالْعَبْدِ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الصَّمْتِ» عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مُولَعًا بِعُيُوبِ النَّاسِ، نَاسِيًا لِعَيْبِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ مُكِرَ بِهِ.

الثَّالِثُ: مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ. لَا شَكَّ أَنَّ الْمُخَالَطَةَ تُؤَثِّرُ فِي الْمَرْءِ، وَلَوْ كَانَ الْمُخَالَطُ مِنَ الْبَهَائِمِ الْعَجْمَاوَاتِ، فَكَيْفَ بِالْآدَمِيِّ؟! أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ». وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

عَنِ الْمَرءِ لَا تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ حَذَّرَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ مُصَاحَبَةِ سَيِّءِ الْخُلُقِ، أَخْرَجَ الْمَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ» عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَإِ الدَّاءِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الْخُلُقُ الدَّنِيُّ، وَاللِّسَانُ الْبَذِيُّ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْحَسَنُ الْخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ. اهـ

وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ» عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَا تُخَالِطْ سَيِّءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى شَرٍّ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِسُوءِ الْخُلُقِ مَظَاهِرَ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْغِلْظَةُ وَالْفَظَاظَةُ. وَهُمَا مَدْعَاةٌ لِلْفُرْقَةِ وَالْعَدَاوَةِ، وَنَزْغِ الشَّيْطَانِ، وَعَدَمِ قَبُولِ الْحَقِّ، فَهَذَا النَّبِيُّ

ﷺ مَعَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ، وَمُؤَيَّدٌ بِالْوَحْيِ، وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي حَقِّهِ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

الثَّانِي: عُبُوسُ الْوَجْهِ، وَتَقْطِيبُ الْجَبِينِ. فَالْعُبُوسُ وَمَا يَسْتَتْبِعُهُ مِنْ كَآبَةٍ وَاضْطِرَابِ نَفْسٍ دَلِيلٌ عَلَى صِغَرِ النَّفْسِ، أَمَّا النُّفُوسُ الْكَبِيرَةُ فَيَكْتَنِفُهَا جَوُّ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ.

الثَّالِثُ: سُرْعَةُ الْغَضَبِ. وَهَذَا خُلُقٌ مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِحُدُوثِ أُمُورٍ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا، فَكَمْ حَصَلَ بِسَبَبِهِ مِنْ قَتْلٍ، وَطَلَاقٍ، وَفَسَادٍ لِذَاتِ الْبَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». فَمَنْ وُفِّقَ لِتَرْكِ الْغَضَبِ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِلَّا فَلَنْ يَصْفُوَ لَهُ عَيْشٌ، وَلَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ، وَلَنْ يَرْتَقِيَ فِي كَمَالٍ.

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ الْعُلَا مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

الرَّابِعُ: الْمُبَالَغَةُ فِي اللَّوْمِ وَالتَّوْبِيخِ. وَهَذَا الصَّنِيعُ مِمَّا تَكْرَهُهُ النُّفُوسُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَالنَّاسُ يَكْرَهُونَ مَنْ يُؤَنِّبُ فِي غَيْرِ مَوَاطِنِ التَّأْنِيبِ، وَيَنْفِرُونَ مِمَّنْ يُبَالِغُ فِيهِ دُونَ تَرَوٍّ أَوْ تُؤَدَةٍ، فَلَرُبَّمَا اسْتَبَانَ لَهُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى حَقٍّ.

طَوَّفْنَا بِكُمْ عِبَادَ اللهِ حَوْلَ مَسَاوِئِ سُوءِ الْخُلُقِ، وَأَرْكَانِهِ، وَأَسْبَابِهِ، وَمَظَاهِرِهِ. وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ الْفَلَاحَ فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾. وَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَخْلَاقَ تَتَغَيَّرُ، وَالنَّاظِرُ فِي حَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم يَرَى ذَلِكَ جَلِيًّا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ.